

(7) سلسلة اصدارات تجمع الرحمة الرسالي

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّي..

طرق سريعة للتوبة

الشيخ حسين مكي

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ

طَرِيقٌ سَرِيعَةٌ لِلتَّوْبَةِ

تأليف: الشيخ حسين مكّي

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ
عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (25)**

صدق الله العلي العظيم

بين يدي القارئ

كثير من الناس قد يعمل السوء بجهالة فيرتكب المعاصي والذنوب وهو في حالة الغفلة، لكنه بعد أن يذنب ويقع في المعصية يتذكر فيندم ويصيبه الحزن، يبقى حائراً لا يعلم ماذا يفعل فضميره يؤنبه ونفسه تلومه، فيبقى مقيداً بذنوبه التي تثقل ظهره، فيحتاج لحل ومخرج لما أهمه واشغله وذلك المخرج هو التوبة، فالله تعالى هو الذي يقبل التوبة من عباده ويعفوا عن السيئات ولكن ربما نكون غافلين عن ذلك ولا نعلم برحمة الله التي تعطي الفرصة للإنسان الذي يسقط في وحل الذنوب والمعاصي ان يقوم وينطلق من الجديد، لذا فنحن نحتاج الى من يرشدنا لذلك ويدلنا على رحمة الله، وكما في الحديث (الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله). فهذا الكتاب عزيزي القارئ هو الذي يرشدك الى ذلك، إذ انه يعطيك الأمل ويبعث في نفسك الإيجابية ويرشدك للتوبة ويعطيك أسرع الطرق للوصول الى رضا الرب، ويعلمك طرق التوبة الحقيقية التي تستوجب غفران الله، وأيضاً يعطيك الفوائد المادية والمعنوية التي تحصل عليها بالاستغفار، ويوضح لك شروط الاستغفار الحقيقي.

كما أنه يأتي ليبين لك ماذا يحصل التائب بعد توبته وما هو المقام الذي يحصل عليه.

وأخيراً يذكر لك الموارد التي تحصل بها على رحمة الله تعالى.

هذا الكتاب الذي بين يديك قد كُتِبَ بأسلوب رسالي تربوي جميل باعثاً بروح الأمل والإيجابية.

نسأل من الله تعالى لمؤلفه سماحة الشيخ حسين مكي المزيد من التوفيق والإبداع.

ولنا وللقارئ الهداية والصلاح.

القسم الثقافي في

تجمع الرحمة الرسالي

المقدمة

مهما ارتكبت من الذنوب والمعاصي ومهما عملت السيئات لازلت تمتلك فرصة ثمينة أنعمها الله عزوجل عليك وهي فرصة التوبة والرجوع اليه سبحانه وتعالى. فهو تعالى بابه مفتوح للعاصين والمذنبين لكي يدخلهم في رحمته ومغفرته، ففي الدعاء نقراً (انت الذي فتحت لعبادك باباً الى عفوك سميت التوبة فقلت توبوا الى الله توبة نصوحاً فما عذر من أغفل دخول الباب بعد فتحه).

الله تعالى لا يهجر عباده بل هم الذين يهجرونه ويبتعدون عنه! ويمنحهم الفرصة تلو الأخرى ويذكرهم وينبهم لعلمهم يرجعون إليه لكنهم في غفلة عنه، ولعلك تسأل ما العمل وانا غارق في الذنوب والمعاصي واليأس قد خيم على قلبي، أتراني ادخل الجنة؟!!

الجواب: نعم، تستطيع وذلك بالتبتل والتضرع الى الله والاستغفار والتوبة النصوح على ان لا تعود لما كُنت عليه. وهذا الكُتيب الذي بين يديك يعطيك خطوات عملية للتخلص والاقلاع عن الذنوب، وكما يعطيك الأمل وروح التفاؤل بالمغفرة والرحمة الإلهية.

حسين مكي (3 رمضان 1439هـ)

توبة آدم

من بين جميع الكائنات الحية اعطى الله للإنسان القدرة على التغيير، تغيير النفس، تغيير العادات....

فما ممكن لأي شيء او أي قوة (غير قوة الله) قادرة على التحكم به او السيطرة عليه. وقد جعل الله في الانسان حب التطلع الى الأعلى، ومن خلال هذين المنطلقين يستطيع الانسان ان يسيطر على نفسه ويحاسبها ويوجهها ويزنها ويقومها ويصلح ما فسد منها. (ونقرأ في قصة آدم وأما حواء كيف انهما سقطا السقوط الذي من شأنه ان يضعف الانسان ولكن لو نظرنا الى الجانب الثاني من القصة وكيف انهما ارتفعا بعد ذلك السقوط! فحينما ارتفع آدم وحواء من وهدة السقوط في فتنة الاقتراب من الشجرة التي نهاهما الله عزوجل عنها لم يرتفعا ويعودا الى المستوى الذي كانا عليه فقط وانما قد حلقا الى حد قد اطفاهما الله فيه واجتباهما، بمعنى ان توبة آدم وحواء قد تقدمت بهما الى اعلى من مستواهما الذي سبق السقوط.)¹

¹ الانسان وفاق المسؤولية للمرجع المدرسي ص 32

الواقع نحن معرضون للذنوب والمعصية وقد نسقط في
شراك الشيطان الرجيم، ولكن كم منا يقوم من سقوطه
ويعود الى ربه والى رشده؟

الله تعالى دائماً يكرر النداء هل من تائب؟ هل من
مستغفر؟

والعجيب ان للتائب درجة عجيبة عند الله، فهو ليس فقط
يتوب عليه ويغفر له، وانما يمنحه منزلة الحب (إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222)).¹

فدرجات الشوق تأتي لهذا الانسان بعد ان فقد ربه وفقد
ذلك الكمال والراحة التي كان فيها فتأتي طاقة للإنسان
التائب حتى ترجعه الى ما كان عليه.

يقال ان آدم طاف حول الكعبة أكثر من مئة عام من أجل
ان يتوب الله تعالى عليه، فمن اين جاءت له هذه الطاقة؟
ان من يعيش كمالاً او حالة روحية مع المعبود يدفعه
الشوق الى ذلك الكمال لمضاعفة العمل والسعي في
العبادات والعمل الصالح لكي يصلح ما أفسده بينه وبين
الله.

¹سورة البقرة آية 222

تُرى لماذا الله يأمرنا دائماً بالتوبة والاستغفار حتى
الأنبياء يأمرهم بالتوبة؟

النبي واهل بيته (ع) كانوا يتوبون الى الله في كل يوم.
النبي (ص) كان يستغفر في اليوم أكثر من (300مرة)
تري لماذا كانوا يتوبون؟

والجواب هو: لأن التوبة هي الزيادة، الزيادة في العمل أذ
ان الانسان لا يقتصر على اصلاح ما أفسده بل يذهب الى
زيادة اعماله الصالحة ويزيد عليها، من جهة انه يخاف
من عذاب الله ونار جهنم ومن جهة اخرى يرجوا رحمة
ربه في ان يدخله الجنة.

والواقع ان الذي لا يذنب لهو اشدُ خطراً من الانسان
المذنب اذ ان الأول يصيبه الغرور والعجب بعبادته
ويؤدي به اما الى التوقف او الى النقصان لأن العجب
والغرور يمنع الانسان من الزيادة.

من هنا أصبح التائب اعلى درجة عند الله تعالى وحببيه
لان فلسفة التوبة تجعل الانسان يزد من اعماله. اذ ان
التوبة هي الزيادة.

ان المدة الفاصلة بين اكل ادم من الشجرة وقبول توبته هي(300سنة) ولم ينظر ادم خلال هذه المدة الى حواء.

والواقع ان من يعيش الفقدان، فقدان الكمال، فقدان القرب الإلهي لا يفكر بالملذات. وهنا تأتي الزيادة ومضاعفة الاعمال فأدم بكى على خطيئته حتى صار على خديه مثل الاودية وأصبح من البكائين الخمسة.

وهنا يأتي دور البكاء من خشية الله وحالة التضرع والتبتل اليه من اجل غفران الذنوب.

من النقص يولد الكمال

فالتائب يحس بالنقص الذي فقده وهو القرب الالهي فاذا اعترف بهذا النقص فان هذا النقص هو الذي سيكمله ويوصله الى الكمال.

عجباً أمن النقص يكون الكمال!؟

الجواب: نعم

توجد حفرة في النواة، او في ظهرها منها تخرج النخلة ويعبر القران عن هذه الحقيقة بالنقير (وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا)¹ لذلك حالة النقص هي التي تكملك².

لكن علينا ان نكتشف نواة هذا النقص الذي في داخلنا ونعرف منابعه واسبابه وكيف تسلل الى نفوسنا حتى نعالجه.

¹سورة النساء آية 124

²كتاب لماذا الغيبة ص140\محمد رضا الشيرازي

أسباب ارتكاب الذنب

(وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا
(115) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
أَبَى (116) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا
يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا
وَلَا تَعْرَى (118) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (119)
فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةٍ
الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (120) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا
سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى
آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى
(122))¹

ان الله تعالى يرشد الانسان ويدله على الطريق
ويبين له معرقاته واشواكه فما على الانسان الا ان يصبر
ويتحمل.

إذا صبر الانسان على الطريق واستقام ولم يتبع هواه
سيجزيه الله تعالى وسيعوضه جزاء ما صبر.

¹سورة طه الآيات 115_122

ولدينا القصص الكثيرة في هذا المجال اذ كيف ان اصحابها صبروا لحظات على المعصية ولم يرتكبونها ولم يقدموا عليها فعوضهم الله تعالى بخيراً منها.

وقصة ابن سيرين ذلك الشاب الوسيم الذي عُرضت امامه فاحشة الزنا لكنه استعصم فأعطاه الله وعوضه بان صار مفسراً للأحلام. وقصته هي انه كان شاباً يعمل بزراً فأنت اليه امرأة ذات حسن وجمال واشترت منه بعض القماش وطلبت منه أن يوصله معها للبيت ولما دخلا البيت أغلقت الأبواب (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) فقالت له لا ادعك تخرج حتى تفعل معي الفاحشة وراودته عن نفسه ولكنه استعصم ورفض، وفكر في طريقة للتخلص منها ولكنه لم يجد الا انه دخل الى بيت الخلاء ولما خرج كان قد لطح نفسه بالقاذورات وفعل كل ذلك حتى لا يعصي ربه ولما رآته على هذه الحالة طردته من بيتها، وهكذا قد استعصم هذا الشاب ونجى من شرك الشيطان ولم يقع بالذنب. وغيرها من القصص الكثيرة.

وقد اعطى اهل البيت (ع) للصبر اهتماماً كبيراً في رواياتهم وأحاديثهم.

وفي حديثٍ (الصبر صبران، صبر على ما تكره، وصبر عما تحب).¹ وفي حديثٍ آخر (الصبر صبران، صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية)

أما الآيات القرآنية فجعلت الصبر من عزم الأمور ومن أهم أسباب تقوية الإرادة وهذا ما يريد أطرحه الآن. إذ كيف إن الإرادة والعزيمة الحد الفاصل بين ارتكابنا للذنب من عدمه.

الآيات التي تربط بين الصبر والعزيمة والإرادة:

(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)²)

(يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17)³)

وآية أخرى تربط بين الصبر والغفران:

(وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (43)⁴)

لقد حدد الله سبحانه الهدف من القرآن الكريم وهو (التقوى والتذكر).

¹نهج البلاغة حكمة رقم 55

²سورة ال عمران آية 186

³سورة لقمان آية 17

⁴سورة الشورى آية 43

وكمثال على هذين الهدفين يذكر الله تعالى في القرآن قصة آدم(ع) عندما نهاه عن الشجرة وحذره من الشيطان أن يخرج من الجنة ومن كلمة (نسي) نستنتج ان عصيان آدم لم يكن متعمدا ويدل ذلك عجز الآية (ولم نجد له عزمًا) كما ان النسيان ضد التذكر وعهدنا بمعنى أمرنا فهو لم يتحد ذلك الأمر وانما نسيه.¹

وهنا اود ان أقول كلمة وهي انه تختلف حالة المعصية من انسان لآخر، يوجد انسان يعصي الله وهو عارفاً عالماً جاهراً بالعصيان يريد ان يتحدى الله تعالى فهذا الانسان من الصعب ان يوفق للتوبة والعودة الى الله تعالى.

ويوجد انساناً آخر غافلاً جاهلاً قد انسته الدنيا نفسه وتغلب عليه الشيطان فطاع هواه ووقع بالمعصية، هذا الانسان بإمكانه ان يوفق للتوبة.

(ولم نجد له عزمًا)

وهناك تفسيران لهذه الآية:

الأول: ان آدم نسي العهد الإلهي ولكن لم نجد له عزمًا على الخطيئة أي تعمدًا.

¹من هدى القرآن ج5 سورة طه ص251

الثاني: لم يكن آدم من أولي العزم وألو العزم خمسة: هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم). وهذا التفسير تأكيداً للقول بأن الإرادة (العزم) تمنع الغفلة والنسيان.¹

كان سبب سقوط آدم واكله من الشجرة أنه نسي العهد الذي عهده الله إليه وسبب هذا النسيان عدم وجود العزيمة والإرادة اتجاه هذا الأمر.

يبين القرآن الكريم في آياته انه سبب الوقوع في الخطأ هو النسيان.

يقول تعالى (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)²

ويبين القرآن في آية أخرى ان النسيان من الشيطان الرجيم. يقول تعالى (وَإِمَّا يُنَسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)³(68)

ثم يطالبنا الله تعالى ان نذكره مباشرة بعد النسيان فذكره يبعث الطمأنينة في النفس وكما أنه يطرد الشيطان يقول

¹من هدى القرآن ج5 سورة طه ص252

²سورة البقرة آية 286

³سورة الانعام آية 68

تعالى: (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَانْكَرُ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا¹) (24)

فالطريق لطرد النسيان الذي هو من أبواب الشيطان هو ان يبقى الانسان دائم الذكر، لا أقول ان الانسان لا ينسى ابداً فقد نقع في شرك ابليس احياناً لكن المطلوب ان نقلل منه، وان نقلصه من نفوسنا والطريق الى ذلك هو ان نولي اهتماماً للقضية والأمر. فإذا كان هذا الأمر بالنسبة اليك مهماً وتولي له اهتماماً خاصاً فانت بالطبع ستبقى دائم الذكر لهذا الشيء حتى يكون من شخصيتك.

فهناك أمور في حياتك لا تنساها فانت لا تنسى طعامك وشرابك وملبسك لأنك بالطبع قد أوليت لها اهتماماً خاصاً جعلت هذه الأمور مهمة بالنسبة اليك.

وهكذا بالنسبة الى امر الله تعالى ان نجعل له أهمية حتى لا نقع في فخ النسيان.

¹سورة الكهف آية 24

اتخذ الشيطان عدوا

(فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا
مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117)¹

بين الله لآدم وزوجته ان ابليس عدو لهما يسعى من اجل اخراجهما من الجنة.

نستفيد من هذه الآية عدة أفكار:

1. ان الانسان بحاجة الى ان يعرف عدوه الشيطان ويتذكر ذلك ابدًا.
2. ان عدواة ابليس للمرأة كعداوته للرجل وبالتالي على المرأة ان تكون على اشد الحذر كما على الرجل سواءً بسواء.
3. ان هدف الشيطان هو اضلال البشر وجرهم الى الشقاء المادي والمعنوي ووسيلة في ذلك والمكر والخداع.²

¹سورة طه آية 117

²من هدى القرآن ج5 ص253 سورة طه

(فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى
شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (120)

نستوحي من هذه الآية الكريمة أفكاراً عديدة تعالج
قضايا هامة:

كيف ومن أي باب يدخل الشيطان الى الانسان؟

الجواب:

وهذا نص كلام سماحة المرجع المدرسي في كتابه القدير
تفسير من هدى القرآن. اذ يقول سماحته:

1. ان الشيطان يوسوس للإنسان فيثير طبائعه
الدفينة ويدغدغ تمنياته المكبوتة ويحرك تلك
الغرائز الخاملة وهو يفعل كل ذلك بهدف
التشويش على بصره والتمويه عليه وزرع
الشبهات في قلبه والقاء التبريرات والتساؤلات
في نفسه. وهكذا لا يكفي الحذر من اغواء
الشيطان المباشر بل علينا ان نعرف انه يشوش
علينا ويشبه الأمور ويغلف الحق بالباطل ويمكر
ويكيد ويغر ويخدع لذا ينبغي ان نكون في قمة
الحذر والا وقعنا في شركه.

2. وآدم اول من حاول ابليس اغواءه ولكنه لم يعزم عصيان ربه بل انساه الشيطان امر الرب وخذعه حيث حلف له بالله كذباً ان الله لم ينهه عن تلك الشجرة ولم يكن آدم يعلم بأن احداً يحلف بالله كذباً، ثم شبه عليه بأن المنهي عنه انما هو شجرة معينة من الحنطة، وهنا استفاد ابليس من نقطة ضعيفة عند البشر حيث يتهرب من المسؤولية بأدنى تبرير، وكانت أداة وسوسته اثاره مشاعر حب الخلود والملك عند البشر.

3. غريزتا الملك وحب الخلود غريزتان متأصلتان في أعماق الانسان بالرغم من ان الله اسكن ادم وحواء الجنة وهي دار الخلود الا انهما لازالا يتشابهان الشعور بالنهاية وقد اثار الشيطان فيهما هاتين الغريزتين وهكذا كانت نتيجة غواية ابليس ان اكل ادم من الشجرة فطرد من الجنة.

ومن المعلوم ان الله اعطى حب الخلود وحب الملك والسيطرة يستعمر الأرض ويتحمل الصعاب، واعطاه حب الخلود لكي يحافظ على نفسه من جهة ولكي يعرف انه خلق للبقاء ولكن ليس في هذه الدنيا بل في الآخرة وانه لو لم يخلد في الدنيا فأن هناك داراً أخرى سيخلد فيها.

ولكن ابليس كعادته يحرص غرائز الانسان التي لو استفاد منها استفادة سليمة إذن لكانت وقوده في الطريق الصاعد، اما لو استخدمها بصورة غير سليمة فأنها ستكون سبباً لهبوطه وترديه، والشيطان يأتي للبشر بصورة خواطر واوهام.¹

(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (121)

عصى بتركه الهدى وغوى عن رحمة ربه اذ من معاني الغواية الضياع.²

(ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (122)

¹ نفس المصدر

² نفس المصدر

وفي هذه الآية إشارة الى ان بيد الانسان نفسه سعادته وشقائه وانه لو وقع في فخاخ الشيطان وانحرف عن الجادة فان امامه فرصة التوبة التي هي معراج الفضيلة.

أن الله ليس فقط تاب على آدم وإنما اجتباه وهي درجة أعلى مما كان عليه آدم، وهي مرحلة الاجتباء والاصطفاء.

من هنا على التائب ان يعرف انه بعد توبته الله تعالى ينقله الى منزلة أعلى مما كان عليها وهي الحب الإلهي، واعطائه منزلة الحبيب (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ).

ولدينا امثلة كثيرة على الذين تابوا واعطائهم الله تعالى منزلة أعلى مما كانوا عليه.

ويقال بأن الحر العاملي صاحب موسوعة وسائل الشيعة هذه الموسوعة العظيمة التي تعتبر من أهم كتب الشيعة. اذ انه نسبه يرجع الى نسل الحر الرياحي الذي جاهد مع الأمام الحسين(ع).

واقعاً ان الحر الرياحي قد تكاشف مع نفسه ووقف
وقال كلمته وأعلن توبته، فقبله الله لذلك استطاع ان
يُحلق في أعلى عليين مع الصديقين والشهداء
والصالحين.

وانت تقف امامه وتقول له: (بأبي انت وامي).

فالله تعالى اعطى للحر جزاء توبته ذرية طيبة
صالحة ومؤمنة وهي ذرية العاملي ومنهم ذلك العالم
الكبير الحر العاملي. واعطاه قبراً يزار في كل يوم
واعطاه منزلة الشهداء والصالحين. لماذا؟!!

لأنه تاب وعاد من ذنبه فاخذ الله بيده وقربه وأعطاه
كل ذلك.

وهذه هي البركة التي تكلمنا عنها، أي ان الانسان
التائب والمستغفر يحصل على أمور كثيرة لم يحصل
عليها الاخرون.

وهنا موضع بحثنا، إذ كيف يتوب الله على الانسان؟
ما هي منزلة التائب عنده عزوجل؟

ان الله ليس فقط تاب على ادم وانما اجتباه، وهي درجة اعلى من التي كان عليها ادم.

وقد ورد في كثير من قصص الأولياء والعلماء والعباد والزهاد وأن بعضهم كان لديهم الكتب التي يدونون فيها اخطائهم وذنوبهم ليعودوا الى مطالعتها بين الفترة والأخرى ومراجعتها والتوبة منها، ليزدادوا علواً وعبادةً وتحليفاً، ولئلا يغتر أحدهم او يمتلكه الكبر والعجب حينما يلتف حوله الناس ويقبلون يديه.

وينقل سماحة المرجع المدرسي (دام ظله) في كتابه "الانسان وآفاق المسؤولية": ان جده من امه المرحوم العالم السيد مهدي الشيرازي (قدس) كان لديه كتاب قد سجل فيه ما سجل وقد كان يخاطب نفسه بإسمه الشخصي في خلواته مراراً وتكراراً، حيث يقول: (يا مهدي انتبه للصراط وكيف تتجاوزة، وانظر الى القبر وظلمته وكيف ستجلس فيه وتقاوم وحشته وحيداً فريداً). ذلك كله وغيره حتى يكبح جماحها ومخاطبتها باللوم إزاء اخطائها ومكاشفتها بحقيقتها ومن ثم

الانتقال بها الى شاطئ الأمان والاستقرار وعلى هذا الأساس فعادة الانطلاق والصعود الى قمة التقوى تبدأ من مكاشفة النفس بإخطائها.¹

قاعدة الانطلاق

كيف للتوبة ان تصل بالإنسان ان يكون من المصطفين او في اعلى عليين؟

الجواب: لأن الانسان اثناء صعوده الى المراتب العليا يحتاج الى شحنات تدفعه الى الأعلى، وأقوى هذه الشحنات هي عملية التوبة فهي توصل الإنسان الى مراتب لم يكن يصل اليها لولاها، فهذه الشحنة يرجع اليها يرجع اليها الإنسان كلما خارت عزيمته وضعفت قواه لتزيده انطلاقاً وانبعاثاً وتحليقاً.

ولذلك كان الإنسان التائب من الذنب في بعض الأحيان أرقى ممن لا ذنب له، لأن من لا ذنب له قد

¹الانسان وآفاق المسؤولية ص35

يصاب بالكبر والغرور فيقلل من نشاطه وحركته فلا يخلق مثل ما خلق التائب.

لذلك جاءت النصوص الإسلامية تؤكد تأكيداً ملحاً على التوبة حيث يقول تعالى (توبوا الى الله توبةً نصوحاً).

أن استشرق الانسان على نفسه وقدرته على اكتشافها بنفسه هذه القدرة الهائلة تعطي للإنسان أصل التقوى بمعنى قاعدة الانطلاق نحو قمة التقوى لذلك جاء في الحديث (حاسبوا أنفسكم قبل ان تُحاسبوا، وزنوها قبل ان توزنوا).

على الانسان إذا أراد ان ينطلق من قاعدة التوبة ويتوب الى الله تعالى أن يحاسب نفسه ويكشفها ويعترف بأخطائه لكي يتعرف نواقصه ويحاول أن يسدها حتى يصل من خلالها الى اعلى قمة.

اما إذا لم يعترف الانسان بذنوبه ويبقى يكابر هذا الانسان لا يتوفق للتوبة ويبقى في دوامة اهوائه وشهواته. إذا التوبة تحتاج من الانسان ان يكشف نفسه ويحاسبها

يقبل التوبة

قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (25))¹.

مهما فعلت من السيئات ومهما ارتكبت من المعاصي ومهما فعلت من الموبقات والذنوب وما دامت روح الإنسان في بدنه وما دام النفس الذي تتنفس يصعد وينزل فإن امامك فرصة حقيقية هي فرصة الرجوع الى الله تعالى.

فاله تعالى فتح بابه على مصراعيه لنا، نقرأ في مناجاة التائبين (إنك فتحت لعبادك باباً الى عفوك اسميته التوبة، فقلت توبوا الى الله توبة نصوحاً، فما عذر من أغفل دخول الباب بعد فتحه)².

فالذي يدعوك ويقدم لك باقة دعوة تحتوي على مضمون: أن أقدم علينا، ليس من المعقول ان تجد بابه مغلق، او ان تطلب منه شيء ويرجعك خائباً لأنه هو الذي دعاك.

¹سورة الشورى 25

²مناجاة التائبين | الصحيفة السجادية

فالله ايضاً دعانا ليغفر لنا، ليقربنا اليه زلفى، لا شك
اننا خطاؤون ونرتكب الذنوب ونقع في الخطأ، كما
قال رسول الله(ص): (كل بني آدم خطاء وخير
الخطائين التوايين).

لأننا لسنا بمعصومين لذلك نقع في الخطأ لكن علينا
ان نتدارك هذا الخطأ ونصلحه بالتوبة والاستغفار
وعدم العودة اليه.

فالله تعالى يفرح بعبده التائب ويباهي به ملائكته.
اما الشيطان فيغضب ويتذمر ويقلق من توبة العبد.
لأن الانسان بتوبته قد يفسد مخططات الشيطان
الرجيم التي كلفته اياماً. ونقرأ ذلك في القصة التالية:
ورد في قصص الأنبياء السابقين أن يحيى التقى
بإبليس فأراد ابليس ان يقدم النصح ليحيى، فقال يحيى
لا حاجة لي بنصحك، لكن أخبرني عن الناس كيف
تتعامل معهم؟

فقال ابليس: الناس بالنسبة الينا على ثلاثة أصناف،
منهم أنتم الأنبياء والأوصياء نحاول معكم لكن الله

يعصمكم فنحن ايسون منكم فلا مجال لغوايتكم ومنهم من هم في أيدينا كالكرة في ايدي صبيانكم نرميهم اين ما شئنا.

ومنهم الصنف الثالث: من نعمل عليهم ولكن أحيانا يتذكرون امر الله تعالى فيتوبون الى الله والله تواب عليهم ونرجع معهم الى نقطة الصفر.

هؤلاء يتعبوننا لأنهم يحبطون كل اعمالنا السابقة. هم بالنسبة الينا أصعب من الصنفين السابقين. فأنتم نحن ايسون منكم، وأولئك الخطائين الذين في الدنيا مثل الكرة لا تحتاج معهم الى تعب، لكن الذين يتعبوننا من الناس هم هؤلاء الصنف من الناس هم يذنبون ويتوبون وتذهب أتعابنا ادراج الرياح.

لذلك علينا دائماً ان ندعو الله ونتوب اليه ونستغفره اما المعاندين الذين لا يكلفوا أنفسهم ان يدعوا الله ويسألوه ويعبدوه هؤلاء المعاندين يخلدون في نار جهنم والعياذ بالله، نقرأ في دعاء كميل (اقسمت ان تخلد فيها المعاندين).

الفرصة الوحيدة هو في هذه الدنيا ان ندعو الله لأن الطريق مفتوح امامك بان تناجي وتدعوا وتبكي.
واما في النار فممنوع عن الانسان ان يدعوا الله نقرأ في دعاء كميل (لأن تركتني فيها ناطقا لأضجن اليك بين أهلها ضجيج الاملين ولأصرخن اليك صراخ المستصرخين).

(اقسمت ان تخلد فيها المعاندين)

هؤلاء المعاندون حتى في نار جهنم تجد عندهم صفة العناد (قالوا يا مالك ليقضي علينا ربك).

فهم لا ينادون الله بالمباشرة بل يقولوا يا مالك ليقضي علينا ربك لذلك هؤلاء المعاندون يخلدون في نار جهنم وتطبق عليهم، فتنسأهم الملائكة والله تعالى ايضاً يتناسأهم.

لأن هؤلاء المعاندون قد نسوا الله في الدنيا ولم يدعوه فالله ايضاً ينسأهم في الآخرة. نسأل الله ان لا نكون منهم.

على الإنسان ان يتذكر وقوفه بين يدي الله هذا الموقف الرهيب الذي يفوق بتخويفه وترويعه عذاب جهنم نفسها. يقول آية الله السيد هادي المدرسي (حفظه الله): ان جدتي كانت تقول وتدعوا بهذا الدعاء (إلهي لا تروعني في النار) ولم تقل لا تعذبني في النار. لأننا تخويف الله وترويعه لا نتحمله ولا نطيعه، لذلك على الإنسان ان يتذكر تلك الساعات الصعبة عليه ويتذكر وقوفه امام الله، فإذا سألنا الله عبدي لماذا عصيتني؟ بماذا سنجيبه وكيف نتكلم؟!.

مقام التائب

خلقنا الله تعالى في هذه الدنيا لكي يرحمنا ويدخلنا جنة عرضها السماوات والأرض كما في الحديث القدسي:

(عبي خلقتك لتربح عليّ لا لأربح عليك).

فإنه خلقنا من أجل ان يرحمنا ويدخلنا الجنة، لا لكي يعذبنا ويحرقنا في النار.

وهو تعالى العارف بنقصنا وشرور أنفسنا وغواية الشيطان لنا، فهو يعلم أننا قد نخطأ ونرتكب الذنوب، فلذلك جعل باباً واسعاً اسمه التوبة. فهو الذي قد فتح باباً لعباده واسماه التوبة.

لذلك التائب يحظى بمنزلة عظيمة ومقام عظيم قد لا يصل الى هذا المقام غيره، فالتائب يحصل على مقام حبيب الله **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ).**

فالمحبة اعلى من كثير من المقامات فهي اعلى من مقام الرضا. لذلك علينا ان نتوب وندخل في محبة

الله تعالى فالله يحب العبد التواب كما في بعض الروايات التي تقول (ان يفرح بتوبة العبد أكثر من الذي يضيع راحلته ثم يجدها في وادي مظلم وعلى هذه الراحلة كل شيء من طعام وشراب) قد يضيع الانسان هذه الراحلة التي نجاته بها وحياته متوقفة عليها، ترى كم هي الفرحة التي تغمر قلبه حينما يجدها؟!!

الله تعالى أكثر فرحاً بعبد التائب من الذي يضيع راحلته ثم يجدها.

وكذلك ادم حصل على مقام الاصطفاء والاجتباء بعد توبته من خطيئته.

لذلك نقرأ في الآية الكريمة (وعصى آدم ربه فغوى، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى).

لا تقنطوا من رحمة الله

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا
مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)¹

مهما وصل الانسان في ارتكابه للذنوب، حتى وان وصل الى حد الاسراف، يكون مسرفاً على نفسه في ارتكاب المعاصي والذنوب فعليه ان لا يقنط ولا ييأس من رحمة الله الواسعة التي تسع كل شيء.

ينقل السيد هادي المدرسي عن ابيه السيد العارف محمد كاظم المدرسي بان السيد المرحوم سئل هذا السؤال إذا كان الله وسعت كل شيء رحمته فهل في جهنم يوجد شيء من رحمة الله؟

¹سورة الزمر آية 53

فقال السيد محمد كاظم: نعم حتى في جهنم ورحمة الله موجودة. قالوا: اين وكيف؟

قال: وجودهم هو رحمة فما يزالون احياء ويتمتعون بنعمة الحياة فهذه رحمة لهم. انهم لم يصيروا عدم.

في بعض الروايات: بانه يعرض على اهل جهنم بان يصبحوا لا شيء فناء لا ذكر ولا وجود لهم فيرفضون ذلك فوجودهم هو من رحمة الله.

وهناك رواية عجيبة: ان اخر ما يحاسب في القيامة يجدون ولا حسنة في عمله وصحيفة اعماله فيؤمرون به الى النار وهو يجر بالأصفاذ والحديد فينظر يمينا وشمالاً وهو يمشي الى النار فيقول الله له: لما التفت عبي فيقول: ربي ما هكذا كان ظني بك! كان ظني بك ان تدخلني الجنة. فيقول الله: ما ظن بي عبي هذا خيراً في حياته قط ولو ظن بي خيراً ما روعته في النار ولكن اجيزوا له كذبتة فيدخل الجنة.

الله عز وجل غفور رحيم، ورحيم صيغة مبالغة أي انه كثير الرحمة والمغفرة ويغفر ثم يغفر كل ما أذنب الانسان وتاب الى الله والله ايضاً يتوب عليه ولا

يجوز التحميم على الله أي ان تقول ان هذا الشخص لا يتوب ولا يغفر له لان الله قد فتح بابه الواسع الى جميع عبادہ.

الاعتراف بالذنب فضيلة

على الانسان: ان يعرف ان التوبة فضيلة من الفضائل كمن يتحلى بفضيلة الصبر او فضيلة الرضا... عليه ان يسعى نحوها ويطلبها ما اذنب وعصى فلا يتكبر او يتعالى والعياذ بالله لأنه مانع أساسي يمنع الانسان ويسلب منه التوفيق.

آدم عصى والشيطان كذلك عصى، ولكن مع الفرق بين المعصيتين:

ادم عصى الله لكنه تذكر خطيئته فتاب الى الله وبكى على خطيئته حتى صار مثل الاودية على خديه وسجد لله أربعين صباحاً وحج بيت الله الحرام ألف مرة.

والنتيجة ان الله تاب عليه وهداه بل واصطفاه درجة اعلى مما كان عليها.

ادم عصى الله لكنه استغفر من خطيئته واعترف بها، واعترف بانه قد أخطأ وخالف امر الله وهذا الاعتراف جره الى التوبة وبهذا الاعتراف بالخطأ وبالنقص وفق الى فضيلة التوبة.

اما ابليس فقد ابى واستكبر و(قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39)¹ أي رمى اللوم على الله تعالى وليس على نفسه هذه النفس المتكبرة المتعالية.

اما ادم فقد رمى اللوم على نفسه وليس على الله تعالى وأحس بحقيقة نفسه ونقصه، يقول الله على لسان ادم وحواء (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (23)² الاثنان تورطا في معصية الله لكن ادم اعترف وعاد وتاب والشيطان لم يعترف وبالتالي ابى واستكبر.

عندما يذنب الانسان ذنباً تتولد عنده حالة من الجحود ولكنها خفية لا يمكنه ان يحس بها الا بعد تراكم القطع

¹الحجر 39

²الأعراف 23

السوداء على قلبه فيصبح هذا الانسان في حالة من التكبر والتعالي على الله وبالتالي يمنعه من الاعتراف بذنبه.

(إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34)¹)

فالاعتراف بالذنب فضيلة من الفضائل لذلك على الإنسان أن لا يتكبر ويتعالى إذا ما ارتكب ذنباً عليه ان يعترف به.

إذا أحدث ذنباً في السر بينه وبين الله فتوبته واعترافه يكون كذلك في السر، أما إذا أذنب الإنسان ذنباً أمام الملاء وعرف به الناس عليه أن يعترف به أمامهم وتوبته متوقفة على هذا الاعتراف حتى لا يتشجع الناس على التجريء على الله وعلى الإنسان ان يعرف ان فضيحة الدنيا اهون من فضيحة الآخرة وعذابها.

¹سورة البقرة 34

في موسوعة وسائل الشيعة هذه الموسوعة القيمة هناك جزء خاص أو باب تحت عنوان وجوب اعتراف المذنب لله بالذنب.

يقول الأمام الباقر (ع) (والله ما ينجوا من الذنب الا من أقر به).¹

نرجع الى الآية التي توجنا بها الموضوع.

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ).

وكما ذكرنا أن الموانع الأساسية التي تحجب الإنسان عن التوبة هي عدم الاعتراف بالذنب ومحاولة عدم الإفصاح عنه. وهنا مانع آخر وهو حالة القنوط وهذه الحالة هي التي يوسوس بها إبليس للإنسان العاصي حتى يمنعه من محاولة التوبة والرجوع الى الله تعالى.

¹وسائل الشيعة ج 11 ص 347

فالآية المباركة تخاطب العاصيين والمذنبين بالعباد!
(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) وصل الى
حد الإسراف على نفسه في ارتكاب الذنوب
والمعاصي ومع ذلك الله يسميهم عبادي، فالله
يخاطب هؤلاء العصاة بعدم القنوط واليأس من رحمة
الله (لا تقنطوا من رحمة الله).

الإنسان المذنب يبتلى بالقنوط واليأس لذلك في هذه
الآية الله تعالى يعالج هذه المشكلة ولكن لاحظوا كيف
ان الله يخاطب العاصيين والمذنبين بلغة لطيفة رقيقة
لم يقل يا عاصون او يا مجرمون او يا مذنبون بل قال
يا عبادي خطاب به محبة لأنه نسبهم الى نفسه.

وفي هذه الآية التفاتة أخرى جميلة أن نصح التعبير
يصح أن نقول عنها التفاتة أدبية، وهي في الأدب
المفروض الآية هكذا تقرأ (قل يا عبادي الذين
أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمتي) لأن
المتكلم في البداية قال قل يا عبادي، فلماذا قال من
رحمة الله؟

علماء الأدب يسمون هذا العدول من المتكلم الى الغائب ويقال له في البلاغة الالتفات ويشير الله تعالى في هذه الآية من هو طرفكم أيها المذنبون ويا أيها العاصون ويا أيها الخاطئون من الذي يغفر لكم؟ من الذي يرحمكم؟ (لا تقنطوا من رحمة الله) الله يريد أن يلفت نظرهم الى ان الطرف الوحيد الذي يستطيع ان يغفر لكم ويرحمكم هو الله لا غير (ان الله يغفر الذنوب جميعا).

ولعل الله يريد أن يلفت أنفسهم او فكرهم الى هذه الفكرة لذلك بالالتفات.¹

(ان الله يغفر الذنوب جميعاً إنه الغفور الرحيم)

مهما بلغت ذنوب الإنسان ومهما تعددت فإن الله سيغفرها لأنه هو الغفور الرحيم ورحيم صيغة مبالغة أي انه كثير الرحمة والمغفرة وفي هذه القصة المذكورة في كتاب بحار الأنوار ستعرف ما مدى مغفرة الله وعفوه.

¹أصول البلاغة ص143

جاء شاب الى النبي(ص) وهو يبكي بكاء التكلى ويشكوا من ذنوبه فقال له النبي(ص): يا هذا إن الله يغفر لك وإن كانت ذنوبك مثل الجبال الرواسي فقال يا رسول الله(ص) ذنوبي أعظم من الجبال الرواسي. فقال له النبي: أن الله يغفر لك وإن كانت ذنوبك بقدر الأرضين السبع ورمالها وبحارها وأشجارها وما عليها من الخلق.

فقال الشاب: يا رسول الله ذنبي أعظم.

فقال له رسول الله: أن الله يغفر لك ولو كانت ذنوبك بقدر السماوات ونجومها والعرش والكرسي.

فقال الشاب: يا رسول الله ذنبي أعظم.

فقال له الرسول بهيئة الغضبان: ذنبك أعظم ام الله؟

فخر الشاب ساجداً فقال سبحان الله لا يوجد شيء أعظم من ربي، ربي أعظم فقال رسول الله(ص): وهل يرجى للذنوب العظيم الا الرب العظيم.

هذا الشاب وصل الى حد أنه أسرف على نفسه حتى تجذر في نفسه شيء من جذور القنوط واليأس من

رحمة الله ولكن رسول الله(ص) عرف أن هذا الشاب قد نفث في روحه الشيطان حتى أوصله الى حالة اليأس والقنوط وأنه يرى ذنبه فقط لا غير، فلذلك بث رسول الله(ص) في روح هذا الشاب عظمة رحمة الله تعالى.

لا تفقد الأمل

إحدى الصفات المهمة للمؤمن هي الأمل في رحمة الله فالمؤمن يمتلك طاقة الأمل هذه الطاقة التي تحركه ولا تجعله يتوقف وتدفعه نحو التوبة والعمل الصالح.

كما ان من صفات المؤمن هو الأمل فإن من أهم صفات الإنسان الضال والمضل هو اليأس والقنوط من رحمة الله.

يقول تعالى: (وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (56)¹).

¹سورة الحجر 56

فالقنوط علامة الضلال، والأمل علامة الهدى.

وهناك معادلة حقيقية وواقعية وهي أنه كلما أزداد الإنسان أيمانه أزداد أمله، وكلما أزداد ضلاله زاد يأسه.

يقول تعالى: (إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ (87)¹).

الروح كما يقول العلماء هو الرحمة وإنما عبر عن الرحمة بالروح لأن الفرد الذي يعيش مشكلة ما أو ذنب ما يعيش في اختناق لا يمكنه أن يتنفس فهنا يحتاج الى نسيم كما يقول العلماء فالروح بمثابة النسيم للفرد صاحب الذنب والمشكلة.

فإذا فقد الإنسان هذا النسيم ممكن أنه يفقد حياته.

يقولون إن أكثر الذين ينتحرون هم الذين يعانون من قلة الأمل ولا يوجد عندهم أمل، ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل.

¹سورة يوسف 87

وهنا يرد سؤال على الآية المباركة (إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (87).

ما علاقة اليأس بالكفر؟

أن منشأ اليأس من رحمة الله هو الكفر بالله، لأن الكافر يؤمن فقط بالمعادلات الطبيعية لا يؤمن بقدره الله تعالى.

أما المؤمن فيؤمن بقدره الله تعالى ويؤمن أنه تعالى غفار لمن تاب.

وأساساً حكمة فتح باب التوبة من قبل الله تعالى وذلك من أجل الأمل. حتى يبقى الإنسان في حركة دائمة لا يتوقف والمؤمن حتى في نار جهنم عنده أمل بالله تعالى نقرأ في دعاء كميل (لأضجن اليك ضجيج الأملين) وحتى في نهاية حياة الإنسان وهو يحتضر مستحب الأمل وحسن الظن بالله تعالى.

نعم أن هنالك ذنوباً تمنع الإنسان من حالة الأمل وتعشعش فيه روح اليأس فعلى الإنسان أن يكتشفها ويتوب منها.

حيث يذكر الإمام أمير المؤمنين (ع) في دعائه دعاء كميل (اللهم اغفر لي الذنوب التي تقطع الرجاء).

والإمام زين العابدين (ع) له حديث مطول يشرح هذه الذنوب والمعاصي.

عن أبي خالد الكابلي يقول سمعت الإمام زين العابدين علي بن الحسين (ع) في حديث مطول يشرح فيه الذنوب التي تغيير النعم والذنوب التي تورث الندم الى ان يصل الى الذنوب التي تقطع الرجاء فقال (ع): (اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله والثقة بغير الله والتكذيب بوعد الله).

فوائد الاستغفار المادية والمعنوية

قال تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12)).¹

¹سورة نوح 10-11-12

أن الاستغفار لا يقتصر فقط على الفوائد المعنوية من
غفران الذنوب وتبديل السيئات بالحسنات والتخلص
من الثقل التي حملتها النفس على ظهرها، ثقل الذنوب
والآثام وكذلك يحصل من خلاله على التوبة والرحمة
الإلهية.

بل هناك فوائد مادية على حياة الإنسان وهذه الفوائد
تبينها الآيات السابقة من سورة نوح ومن هذه الفوائد:
أولاً: يرسل السماء عليكم مدراراً:

أن مصدر الرزق والخير هي السماء التي تدر
علينا بنور شمسها وبضياء قمرها وبأمطارها
ولولا هذه الأمطار لما كان هناك زرع ولا ماء
ولا نباتات ولا تستمر الحياة أصلاً، فالماء شيء
ضروري للحياة يقول علماء الحضارات أن
الحروب القادمة ستكون على الماء وليس على
الأرض.

فهناك ذنوب تجعل السماء تمنع قطرها وكما
في الروايات: (إذا جار القضاء منعت السماء
قطرها).

فإذا أردنا المطر فالطريق هو أن نستغفر الله عزوجل من ذنوبنا ونتوب إليه، وإذا التمس الله تعالى منا صدق النية فينزل علينا خيرات السماء.

والعجيب بالآية أنها تتكلم بصيغة الجمع والسبب في ذلك أن المجتمع بصغاره وكباره، رجاله ونسائه أن يتوب ويستغفر الله.

ثانياً: ويمددكم بأموال:

إذا أراد الإنسان أن يرزقه الله بمال حلال طيب من دون ان يحتسب فما عليه الا ان يستغفر الله تعالى وخصوصاً بعد صلاة الفجر، وقد ذكر ذلك أئمتنا عليهم السلام.

ثالثاً: وبنين:

الكثيرون منا يشكون انقطاع النسل وقلة الذرية بسبب او باخر فمنهم من قضى أكثر من 10 سنوات ومنهم أكثر من 20 سنة ومنهم من أعجزهم وآيسهم الأطباء.

فهؤلاء يسألون ما الحل؟

الحل: هو في الدين الذي يعطي الأمل والروح والتفاؤل للإنسان على عكس العلم الذي يتجرد من الدين فإنه إذا عجز يبدأ ببث روح اليأس في نفوس الناس. فعلى الإنسان الذي يريد أن يرزقه الله بذرية طيبة صالحة عليه أن يعلم أنه امتحان واختبار من الله ليختبر صبره وإيمانه ويظهر جوهره الأصلي.

ثانياً: هنالك مجموعة احراز واذكار دلنا عليها القرآن الكريم وروايات أهل البيت (ع) إذا فعلناها وطبقناها بنية خالصة لا شك أن الله تعالى سيرزقنا بذلك سريعاً، لأن هذه الاذكار تفك بعض الحواجز والموانع التي تمنع الإنسان من الحصول على رزقه.

الإنسان الذي يطلب الذرية فعليه:

1- أن يستغفر الله تعالى قدر استطاعته وخصوصاً بعد أوقات الصلوات الخمس لأن الاستغفار له أثره الكبير في الحصول على

الذرية وقد صرح الله تعالى بذلك في سورة نوح (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12)). تصريح واضح ان الامداد بالأموال والبنين الذرية تأتي نتاج الاستغفار.

2- وفي بعض الروايات الشريفة أنه يلبس الزوج والزوجة خاتم من فيروز وينقش عليه (رب لا تدرني فردا وانت خير الوارثين).

3- الطلب والتوسل بأهل البيت(ع) وخصوصاً امامنا الرؤوف علي بن موسى الرضا(ع).

4- هناك طريقة استغفار للحصول على الذرية يعلمها لنا الامام الباقر(ع):

روى الكليني طاب ثراه بإسناده الى زرارة عن ابي جعفر انه وفد الى هشام بن عبد الملك فأبطأ عليه الاذن حتى اغتم، وكان له حاجب كثير الدنيا لا يولد

له، فدنا منه أبو جعفر فقال له: هل لك ان توصلني الى هشام واعلمك دعاء يولد لك ولدا؟

قال نعم، فأوصله الى هشام فقضى له جميع حوائجه¹، فلما فرغ قال له الحاجب: جعلت فداك الدعاء الذي قلت لي علمني؟ فقال له: نعم، تقول في كل يوم إذا أصبحت وامسيت (سبحان الله) سبعين مرة، وتستغفر الله عشر مرات، وتسبحه تسع مرات وتختتم العاشرة بالاستغفار، يقول تعالى (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (12))

فقالها الحاجب فرزق ذرية كثيرة وكان بعد ذلك يصل أبا جعفر وابا عبد الله(ع).

وقال سليمان وهو أحد الرواة، ففعلتها وقد تزوجت ابنة عم لي فأبطأ علي الولد منها فعلمتها اهلي فرزقت ولدا، وزعمت المرأة انها متى تشاء ان تحمل حملت

¹ لا شك أن حوائج الامام عند هشام كانت من قبيل شفاعة في فكاك أسير او قضاء حاجة مؤمن ونحو ذلك لا غير. (الرضوي)

إذا قالتها وعلمتها غير واحد من الهاشميين ممن لم
يكن يولد لهم فولد لهم ولد كثير والحمد لله¹

وطريقة الاستغفار التي علمها الامام للحاجب هي
كالتالي:

تقول في الصباح والمساء:

70 مرة سبحان الله.

ثم تقول 10 مرات استغفر الله.

ثم تقول 9 مرات سبحان ثم تختم العاشرة بالاستغفار
ويكون مجموع الذكر كله 90 مرة.

¹ التحفة الرضوية مجربات الامامية ص256

رابعاً: الاستغفار امان:

للاستغفار امان ما أعجبه من امان! لحماية الإنسان من المخاطر ومزالق الحياة وما شابه ذلك.

يقول العالم العارف المرحوم الميرزا الدولابي: لا تنسوا الاستغفار إذا تمكنتم استغفروا سبعين مرة في اليوم على سجادة الصلاة، فهذا امان الله، لو عملت هذا مرة واحدة في اليوم فأنت قد بنيت جداراً على نفسك وذريتك، فالاستغفار امان الله.

فالاستغفار أمان من المخاطر التي تتعرض لها، بل الاستغفار باستطاعته ان يمنع نزول العذاب الإلهي.

يقول أمير المؤمنين(ع) في خطبة الوسيلة:

أيها الناس كان في الأرض امانان من عذاب الله سبحانه وتعالى وقد رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به، أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله واما الأمان الباقي فهو الاستغفار ثم تلى هذه الآية

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33)¹).

حقيقة التوبة

علماء الأخلاق يعرفون التوبة بأنها عبارة عن الرجوع عن الذنب القولي والعملية والفكري.

هناك ما يقارب أكثر من سبعين ذنباً يرتكبه الإنسان وهي من الذنوب القولية. وكذلك هناك ذنوب فكرية يرتكبها الفكر مثل سوء الظن بالمؤمنين يعتبر من الذنوب الفكرية. والذنوب العملية كثيرة.

حقيقة قد يصل الإنسان الى مستوى لا يعرف كم يرتكب من الذنوب في اليوم والليلة وأكثر الذنوب لعله ينساها.

لذلك على الإنسان دائماً أن يحاسب نفسه ويحصى ذنوبه ويعترف بها للباري عزوجل. علمائنا كانوا حريصين على محاسبة أنفسهم والتشديد عليها.

¹خطبة الوسيلة نهج البلاغة.

سورة الانفال آية 33

ومن أمثلة ذلك هو العالم العارف صاحب كتاب مفاتيح الجنان الشيخ عباس القمي، ينقل عنه أنه ذات يوم سأل نفسه سؤال وكان عمره ما يقارب السبعين عاماً، قال: لو أنني في كل يوم قد ارتكبت ذنباً واحداً فكم مقدار وعدد ذنوبي التي ارتكبتها؟

ويقال من ساعتها شهق الشيخ شهقة فمات على أثرها. هؤلاء العلماء هم يعرفون ماذا يعني تراكم الذنوب وماذا يعني حسابه وعقابه.

إذا وصل الإنسان الى هذه الحالة من الاعتراف والخوف والتذلل الى الله فقد وصل الى حقيقة التوبة. والا إذا لم يحاول الانسان ان يتعرف على ذنوبه ويتوب منها فقد يحرم من كثير من الأمور واهما التوفيق.

ينقل كذلك عن الشيخ عباس القمي أنه كان مواظباً على صلاة الليل في السفر والحضر.

يقول ابن الشيخ القمي دخلت على والدي يوماً من الأيام وجدته يبكي فسألته عن بكائه؟

فقال: انا أمس لم استيقظ لصلاة الليل (ويمكن في وقتها كان مسافراً او مريضاً).

يقول: فقلت له ان هذا العمل والصلاة مستحبة وانت لم تفعل الحرام!

فقال: صحيح انه ليس بذنب ولكن انا أفكر في الليلة الماضية ماذا فعلت حتى سلبت هذا التوفيق!

فإذن حقيقة التوبة ان يصل الانسان الى مرحلة مراقبة شديدة على نفسه ويحاسبها على الاعمال الصالحة وعدم تضييعها كما يحاسبها على الذنوب والمعاصي إذا ارتكبها.

إذ ان الإنسان إذا أراد ان يعرف ما مدى قبول توبته عند الله تعالى؟

فعليه ان يعلم ما مدى اقباله على الطاعات والاعمال الصالحة.

وهذا السؤال يسأله الكثيرون هو هل أن توبتي قد قبلها الله ام لا؟ هل كتبت مع التائبين ام لازلت مع العاصين؟

فالجواب على هذه الأسئلة: هو أن يعرف الانسان ما مدى أقباله على طاعة الله تعالى وعلى الاعمال الصالحة.

وهناك رواية تؤيد هذا المعنى وهي:

(إذا اردت ان تعرف ما قيمتك واهميتك ومحبتك عند الله تعالى؟

فانظر في نفسك واعمس الامر، انظر كم تحب الله تعالى وتجعل له أهمية في داخلك.

بمقدار هذا الاهتمام وهذا الحب سيهتم بك الله ويحبك.

قصص مؤثرة تغير حياتك

1- صلاة الاعرابي:

كان رجل لا يهتم بالواجبات ويرتكب المحرمات وحينما مات اخذه اولاده لكي يغسلوه ويكفنوه ويصلوا عليه ثم يدفنوه، لكن اين ما يأخذوه يرفضون الصلاة عليه لأنهم يعرفونه ويعرفون حياته، فصار عليهم العصر ولا يقبل أحد ان يصلي عليه، الى ان رأوا اعرابي من بعيد صاعد على جبل فأتوا اليه مسرعين يطلبون منه الصلاة على والدهم.

فقال لهم الاعرابي: انا لا اعرف الصلاة فقالوا لا يوجد عندنا غيرك، والحو عليه فوافق الاعرابي بالصلاة عليه، فصلوا عليه وانتهوا منه ثم دفنوه.

وفي ذات الليلة رأى أحد الأولاد في المنام والده فسأله عن احواله؟ فقال الوالد: انا الحمد لله في مأمن من العذاب بفضل صلاة هذا الاعرابي.

جلس الولد وأخبر بقية الاخوة وراحوا يبحثون عن هذا الاعرابي فوجدوه وقالوا له قل لنا من انت هل

انت ولي؟ ام وصي؟ لأننا رأينا ابانا في المنام وقال
انا في مأمن من العذاب بفضل صلاتك.

قال الاعرابي: حقيقة انا كما اخبرتكم لا اعرف
الصلاة على الميت، لكن تمتت بكلمات مع الله فقلت
له:

لو كان هذا الرجل عندي ضيفاً هذه الليلة كنت اذبح
له هذا الجمل وهو الوحيد عندي، واليوم هو عندك
ضيف وانت ارحم الراحمين.

2- أصبح أستاذ السيد البروجردي:

ينقل المرحوم سماحة السيد محمد رضا الشيرازي هذه القصة.

يقول: كان رجل مشهور معروف في انحرافه في بداية الشباب عازف على الآلات الموسيقية وهو من سكنة أصفهان ويوم من الأيام كان يعزف على هذه الآلة كأن حصل بها عطب او شيء شبيهه، فأخذها وذهب يبحث عن مصلح لها، فوجد رجلاً واقفاً فسأله عن محل لتصليح هذه الاوتار.

فقال له الرجل: انت لإصلاحك لنفسك احوج من اصلاحك لهذه الأوتار.

فتحول هذا الرجل الى آية من آيات الله وهو أستاذ آية الله السيد حسين البروجردي.

ليس فقط تاب وانما الله تعالى وفقه لكي يصبح أستاذ السيد البروجردي.

3- توبة ابليس:

هل سمعت بتوبة ابليس؟

اليك هذه القصة الغريبة:

يوماً من الأيام حدث موسى الكليم (ع) ابليس وقال له لماذا لا تتوب وترجع الى الله؟ لأن الله عذابه شديد يوم الحساب.

فقبل ابليس دعوة النبي موسى وقال لا مانع لدي فأنا اريد ان اتوب.

فذهب موسى وكلم رب العزة وحدثه عن طلب ابليس ورغبته بالتوبة.

فقال الله تعالى: انا اقبل توبته بشرط أن يذهب الى قبر آدم ويسجد له فقط هذا الشرط، فجاء موسى ضاحكاً مستبشراً وانه سوف يتخلص وتتخلص البشرية من شر ابليس.

فجاءه وأخبره عن الشرط الذي أخبره به الله تعالى.

فقال ابليس: آدم وهو حي لم أسجد له، أتريدني وهو ميت أن اسجد لقبره!

أنه التكبر والغرور والعياذ بالله والا فالله تعالى
رحمته وسعت كل شيء، لكن ما زال الكثيرون منا
يضمرون ما اظهره ابليس وهو التكبر والعجب
عاذنا الله تعالى.

نسأل الله تعالى أن يخلصنا من كبر النفس
وغرورها.

تبدیل السيئات الى حسنات

(وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ
ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (68) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا (69) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا (70)¹

ثلاثة ذنوب أتفق جميع العلماء على أنها من الكبائر،
ومرتكبتها توجب عليه النار وهي:

1- الشرك.

2- القتل.

3- الزنا.

هذه الذنوب إذا ارتكبتها الإنسان ومات من دون أن
يتوب الى الله تعالى فإنه يخلد في النار مهان ذليل.
والعجيب هذه الذنوب التي توجب الخلود لمرتكبتها
إذا تاب منها الإنسان توبةً نصوحاً. وعمل

¹سورة الفرقان الآيات 68_70

الصالحات فإن الله تعالى ليس فقط يرفع عنه العذاب وإنما يبذل كل سيئاته إلى حسنات، هذه المعجزة الكبرى التي تتحول سيئات الإنسان كلها إلى حسنات.

والواقع: أن ارتكاب الذنب يشبه السقوط من القمة إلى الوادي أما التوبة فهي تعيد الإنسان التائب إلى القمة بل وترفع درجته إلى مستوى أعلى مما كان عليه قبل ارتكاب الذنب وحسب الوصف القرآني تتحول سيئاته إلى حسنات.¹

تتحول إلى حسنات من خلال العمل الصالح الذي تقوم به والإيمان بالآخرة، والتوبة الحقيقية النصوحة.

توبة + إيمان + عمل صالح = مغفرة الله تعالى.

وحقيقة ليس بعيد عن الله تعالى ورحمته الواسعة بل وليس شيء كبيراً عليه من أن يحول سيئات الإنسان إلى حسنات لأن الإنسان يمتلك سلاح عظيم وهو سلاح التوبة والاستغفار فعلى الإنسان أن لا

¹لنكن من التائبين/إسماحة المرجع المدرسي

يصل الى مرحلة القنوط مهما أرتكب من الذنوب
ومهما أسرف على نفسه يقول أمير المؤمنين (ع):

(عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار)

ينقل سماحة آية الله السيد هادي المدرسي (حفظه
الله)

يقول: ذهبت أنا ومجموعة من الاخوان عيادة
المرحوم السيد القزويني شاعر أهل البيت (ع)
وسألناه كيف حالك؟

قال: أنا بخير الحمد لله وأنا أعتمد على ذنوبي فقلنا
له كيف تعتمد على ذنوبك؟

قال: يبذل الله سيئاتهم حسنات.

وتلا لنا هذه الآية (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا
صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ
غَفُورًا رَحِيمًا) (70)¹

¹سورة الفرقان آية 70

هذا هو حسن الظن بالله تعالى والذي أمرنا به أهل البيت (ع) وهو من المستحبات المؤكدة عند النزر وسكرات الموت أن يحسن الإنسان ظنه بالله تعالى. يقول تعالى: (أنا عند ظن عبدي بي، أن خيراً فخير، وأن شراً فشر).¹ وهناك رواية عجيبة ما مضمونها تقول: أن العبد حينما يأتي يوم القيامة وقد تاب الى الله تعالى قبل وفاته، وحينما يرى تتبدل سيئاته الى حسنات يتمنى ان لو كان عنده سيئات أكثر مما كان عليه حتى تتبدل الى حسنات. فسبحانك يا رب ما أرفك وأرحمك.

شروط الاستغفار

لعل الإنسان الذي يذنب يبقى حائراً كيف استغفر؟ وما هي شروط الاستغفار؟ وكيف أتوب الى الله تعالى توبة نصوحة لا ارجع من بعدها الى الذنب مرة أخرى؟

¹حديث قدسي

حقيقة لا حيرة مع وجود هذه الرواية العظيمة لأمر المؤمنين(ع) الذي يعلمنا بها طريقة الاستغفار الحقيقي العملي وليس الاستغفار اللفظي الذي يمر على شفئك فقط.

واليك هذه الرواية العظيمة في الكتاب العظيم نهج البلاغة:

سمع الامام علي(ع) قائل يقول استغفر الله.

فقال له الامام: ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟

الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معانٍ:

أولها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العود اليه ابداً.

والثالث: ان تؤدي الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة.

والرابع: أن تعمد الى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها.

والخامس: ان تعدد الى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلتصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.

والسادس: ان تذيب الجسم ألم الطاعة كما اذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول استغفر الله.¹

لا حظوا كيف ان الامام يوجه هذا القائل الى طريقة الاستغفار والتوبة الحقيقية.

ونحن ايضاً نستطيع الاستفادة من هذه الخطوات، والتائب عليه أن يعمل ويجد ويوفر الندم ومحاسبة النفس على مل مضى أي ان تستشعر الخطأ الذي ارتكبته فمن هذه المرحلة مرحلة الندم تتولد العزيمة.

ثم تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة العزم والتصميم والإرادة على ان لا تعود ابداً الى المعصية وهذا العزم والتصميم يخلقان فيك إرادة قوية صلبة تمنعك من العود الى الذنب مرة أخرى.

¹نهج البلاغة حكمة رقم 412 ص707

ثم المرحلة الثالثة هي المرحلة العملية أن ترجع حقوق العباد التي سلبتها واخذتها حتى تحقق توبتك. وهنا نورد قصة لطيفة ينقلها سماحة آية الله السيد هادي المدرسي عن أحد الخطباء.

يقول هذا الخطيب: كنت ذات يوم أتكلم عن التوبة وشروطها وقلت لا بد ان ترجع حقوق الناس إليهم، ان كنا قد سرقنا منهم، فلما أكملت المحاضرة جاءني رجل وقال لي مولانا انا سارق واريدك ان تذهب معي لكي نتبارى الذمة معهم. يقول الخطيب فذهبت معه الى السوق فقال الى اليمين محل يبيع القماش ذهبنا اليه فتبارينا معه الذمة ثم يمينا وشمالاً فاكتشفت ان السوق كله قد سرق منه! فلما أكملنا وأردت ان اودعه واذهب قال لي: مولاي انت ايضاً ابريني الذمة! لأن البارحة سرقت شيئاً من سيارتك، فقلت له اذهب فقد بريت لك الذمة.

فإذن لا يكفي الاستغفار والتوبة ان كنا قد اخذنا اموالاً غصباً من أحد او تداينت بدين ولم ترجعه الى صاحبه، فإله تعالى لا يقبل توبتك الا ان ترجع

حقوق الناس إليهم، حتى تلقى الله أملس ليس عليك شيء.

ثم المرحلة الرابعة: تقضي ما فاتك من الفرائض من صلاة او صيام سواء كانت هذه الفريضة عبادية او ان تكون مرتبطة برضا الوالدين، عليك ان ترضيهم.

أو ان تكون هذه الفريضة اجتماعية قد تكون اضللت بعض الناس عن طريق الاعلام او عن طريق بدعة روجت لها، عليك ان تعلن خطأ الفكرة وخطأك امامهم حتى يتوب الله عزوجل عليك.

ثم المرحلة الخامسة والسادسة: نستطيع ان نعبر عنها بالجنبية البدنية المادية، لأن هذا الجسم وهذا اللحم كان جزءاً من ارتكاب المعصية بل له الدور الأكبر في ذلك من حيث اللذة والراحة، لذلك الطريق الى تزكية هذا البدن كما يقول أمير المؤمنين(ع) زكاة البدن الصوم، فلا بد ان تعمل عكس ما كنت تعمل تماماً ولا بد ان تتعبك جسمك بالصوم والطاعة والاحزان حتى يذهب لحم

المعصية وينشأ لحم آخر، وان تذيب جسمك ألم الطاعة بالعبادة وقيام الليل وتعمل لنفسك برنامج صيام حتى تشعر بالألم كما كنت تذيبه حلاوة المعصية.

وهناك أمور ونقاط إذا جعلها العاصي امامه سيرتدع ويتقي، يذكرها سماحة المرجع المدرسي (دام ظله) في تفسير من هدى القرآن وهي:

1- البعث.

2- الساعة.

3- القيامة.

ان حياة الانسان سجل، يطوى اليوم ويكتب فيه بقلم الطبيعة ما فعله، فإذا نُشِرَ نُشِرَ معه سجله بالكامل فيا للفضيحة الكبرى يومئذ! ثم الساعة واشراطها يوم تبدل الأرض غير الأرض، وتطوى السماوات كطي السجل للكتب، فإذا لم يعمل اليوم لبلوغ الأمان من أهوالها فيا للخسارة العظمى! اما قيام الناس أمام رب العالمين فإنه رهيب عظيم، لا يسع الفكر تصور تلك اللحظة التي يتمثل هذا المخلوق

المتناهي في الضعف والمسكنة امام جبار
السموات والأرض، أو لم تقرأ إن اسرافيل أعظم
ملائكة الله يتضاءل أمام هيبة الرب حتى يصبح
كالوصع(العصفور) كما ذكر في سورة التكوير آية
23.

فمن انا غير هذا العبد المسكين المستكين الضعيف
الحقير أمام رب العزة والعظمة؟!.

هكذا يذكرنا القرآن بهذه الحقائق، فبعد أن يقول
(أنهم مبعوثون) يذكرنا بالساعة فيقول (ليوم
عظيم) عظمت آثاره في السماوات والأرض حتى
أشفقت من، فلولا اتقاء أهواله بالعمل الصالح أنى
نحصل فيه على أمان، والسماوات تنفطر والجبال
تكون سراياً والأرض تزلزل زلزالها؟!.

وأعظم من تلك الأهوال قيام الناس أمام رب
العالمين (يوم يقوم الناس لرب العالمين) يكاد
القلب البشري يتصدع حينما يحمله الله شيئاً من

نور عطفه وحنانه، فكيف يصمد هذا القلب امام
عقاب الله وزجره؟!¹

موارد الرحمة الإلهية

لا شك أن هناك موارد خاصة من خلالها يُعرض
الانسان نفسه للرحمة الإلهية.

كما ان هنالك مكانين، مكان تنزل فيه الملائكة،
ومكان تنزل فيه الشياطين، ولا شك أن أماكن
العبادة التي تشمل المساجد والجلسات الإيمانية
والأضرحة المقدسة أماكن لمحط رحمة الله واما
أماكن الفجور والغناء وجلسات الغافلين محط
لنزول النعمة ومنع مصبات الرحمة أن تنزل.

ومن خلال البحث في الآيات القرآنية الكريمة،
وبالخصوص من مفردة (لعلكم ترحمون) نستفيد
من هذه المفردة والتي ذكرت تقريباً أكثر من 8
مرات نستفيد منها بأن تعطينا موارد خاصة من

¹من هدى القرآن ج 12 ص 87

خلالها يعرض الإنسان نفسه للرحمة إذا طبق
الإنسان هذه الموارد.

1- طاعة الله والرسول.

قال تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
(132) ¹

المولى إذا رأى من عبده الطاعة له ويفعل ما يؤمره
لا شك أن هذا المولى سيقرب هذا العبد منه ويخصه
بأمور ما لم يخصص به بقية العبيد.

كذلك الإنسان بالنسبة الى الله عزوجل إذا رأى الله
منه الطاعة وعدم المعصية سوف يرحمه والرحمة
تؤدي الى التوفيق والتسديد والتأييد.

2- اتباع القرآن:

(وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ(155)²

¹سورة آل عمران 132

²سورة الانعام 155

القرآن هو الطريق للوصول الى الحقائق وهو الرسالة والخارطة لطريقنا فالقرآن هذا ليس فقط كتاب انزله الله وانما هو مبارك فاتباعه يؤهل الإنسان لرحمة الله تعالى.

وفي آية أخرى يقول الله تعالى: (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (204)¹

لأن القرآن بصائر وحقائق وهدى فعلى البشر أن يكبره ويعظمه فإذا قرأ القرآن فعلينا جميعا ان نترك الكلام الزائد ونستمع الى القرآن وبالتالي ستحصل على الفلاح والسعادة والرحمة.

3- إقامة الصلاة وابتاء الزكاة:

حينما يؤذن المؤذن ويدعوك الى الصلاة فما عليك الا التهيؤ والاستعداد، ومن الاستعداد ان تترك جميع مشاكلك وهمومك وما يشغل ذهنك وتطرحها جانبا لكي تأتي الى الله وتلتقي به وتتصل وانت في الصلاة لا شك ان الله تعالى سينزل الرحمة عليك

¹سورة الأعراف 74

ويغشاك بلطفه قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (56) ¹

4- التقوى:

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ) (45) ²

يقول أحد العرفاء وهو العارف رجب الخياط: ان
الطريق للوصول الى المقامات العالية هو أحد
الامرئين:

اولاً: الجوع وكثرة الصيام.

وثانياً: عدم ارتكاب الذنوب.

الطريق للحصول على التقوى هو ان الانسان عليه
ان يجهد نفسه بعدم ارتكاب الذنوب بل عليه أن
استطاع ان لا يفكر بالذنوب لأن التفكير في الذنوب
يدعوا لارتكابه.

¹سورة النور 56

²سورة يس 45

والتقوى تتحصل بهجران الذنوب والمعاصي وإذا هجر العبد الذنوب لا شك انه سوف يحصل على درع ووقاية التقوى وبالتالي سوف يعرض نفسه للرحمة الإلهية.

5- الإصلاح بين الاخوان:

(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(10)¹

يجب ان تكون العلاقة بينك وبين اخيك المؤمن هي علاقة الاخاء والإصلاح، فالإصلاح بين المؤمنين وحل نزاعاتهم واختلافاتهم هي محط لرحمة الله تعالى.

6- الاستغفار:

(قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ(46)²

¹سورة الحجرات 10

²سورة النحل 46

من أهم المحطات الرئيسية لتزود الرحمة والتعرض لها هي محطة الاستغفار وهي من أهم مواردها.

فالإنسان لا يعلم كم ذنباً في اليوم يذنب من لسانه وعينه وإذنه وبقية جوارحه لذلك ما عليه إلا أن يجدد توبته ويكون دائم الاستغفار.

فنحن قد ارتكبنا كثيراً من الذنوب والمعاصي ووصلنا إلى حد الإسراف ولعل بعض الذنوب نسيناها كما يقول تعالى: (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)¹(6)

فإن الله تعالى أحصى أعمالنا في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها لذلك علينا أن نجدد استغفارنا كما كان يفعل نبينا الأكرم (ص) وأهل بيته الأطهار كانوا يستغفرون الله تعالى في كل يوم وليلة.

¹سورة المجادلة 6

الفهرس

5.....	بين يدي القارئ
7.....	المقدمة
9.....	توبة آدم
13.....	من النقص يولد الكمال
14.....	أسباب ارتكاب الذنوب
20.....	اتخذ الشيطان عدوا
27.....	قاعدة الانطلاق
29.....	يقبل التوبة
34.....	مقام التائب
36.....	لا تقتنطوا من رحمة الله
45.....	لا تفقد الأمل
48.....	فوائد الاستغفار
56.....	حقيقة التوبة

60.....	قصص مؤثرة
65.....	تبديل السيئات الى حسنات
68.....	شروط الاستغفار
75.....	موارد الرحمة الإلهية
82.....	الفهرس

مهما ارتكبت من الذنوب والمعاصي ومهما
عملت من السيئات لا زلت تمتلك فرصة ثمينة
أنعمها الله عز وجل عليك وهي فرصة التوبة
والرجوع اليه سبحانه وتعالى.

فبابه مفتوح للعاصين والمذنبين لكي يدخلهم في
رحمته ومغفرته ..

وهذا الكُتيب الذي بين يديك يعطيك خطوات
عملية للتخلص والاقلاع عن الذنوب، كما
يعطيك الأمل وروح التفاؤل بالمغفرة والرحمة
الإلهية.